مقدّمة

تلاميذ السّنة الرّابعة آداب

هذا المؤلّف جزء أوّل من كتاب النّصوص الأدبيّة وهو بعض ثمرة من برنامج جديد في تدريس الأدب العربيّ بالمرحلة الثّانوية.

هو برنامج أفاد من الاختيارات والتّوجّهات التّربويّة ومن المقاربات البيداغوجية الّتي انبنى عليها "برنامج البرامج" ورُسمت بمقتضاها ملامحُ المتخرّج من التّعليم الثّانويّ، واستند إلى مرجعيّات لعلّ أهمّها المدرسةُ البنائيّة الّتي جعلت من التّلميذ طرفا محوريّا في بناء المعرفة، واستقام عن بحث في أصول تدريس الأدب العربيّ الّتي أصبحت تقليدا في مدرستنا التّونسيّة.

فهذا المؤلّف الّذي نضعه بين أيديكم هو ترجمة -نرجو أن تكون أمينة-لهذه التّوجّهات وتجسيم لهذه المبادئ وإسهام في تحقيق الغايات الّتي انبنى عليها نظامنا التربوي. وهو امتدادٌ لأجيال من الكتب كان لها فضل في إرساء منهج جديد في تدريس الأدب العربيّ، وتتويجٌ لسلسلة من الكتب الجديدة اتّبع الخيط النّاظم لها وحافظ على روح المنهج القائمة عليه، لكنّه تميّز عنها بما تقتضيه المرحلة الختاميّة من التّعليم الثانويّ (السّنة الرّابعة آداب) من اعتبار لمكتسبات التّلاميذ ومراعاة لطور النّموّ النّفسيّ والذّهنيّ لهم.

وتجسيما لهذا التوجّه فقد انتقينا لكم من أدبنا العربيّ القديم نصوصا من جيّد المنظوم والمنثور تعرّفكم إلى بعض طرائق شعرائنا وأدبائنا في التّعبير عمّا يختلج في وجدانهم من مشاعر وفي عقولهم من أفكار وآراء في الذّات والمعتقد والحياة والطّبيعة والمجتمع والوجود وتطلعكم على بعض ما أسهم به العربُ في بناء حضارة الإنسان وما ابتدعوه من أشكال في التّعبير ومناهج في التّفكير.

القسم الأوّل من البرنامج "شعر الحماسة في القرنين الثّالث والرّابع للهجرة" وهو باب من الأدب طريف، تظفرون فيه بما يعزّز انتماءكم إلى أمّة ذات جذور مكينة وحضارة ذات أصول متينة. تغنىّ فيه الشعراء ببطولات العرب في قصائد ملحميّة لو جمعت لفاقت ملاحم الأمم المشهورة. فكان أن اخترنا لكم ثالوثا من المبدعين في شعر الحماسة هم أبو تمّام وأبو الطيّب المتنبّي وابن هانئ. وأملنا أن تغنموا ممّا في قصائد هؤلاء الشّعراء من قيمة جماليّة تشهد بحضور الفنّ الملحمي الذي لا تكاد تخلو منه آداب الأمم الأخرى وأن تستخلصوا من معاني الحماسة قيَمًا عليا هي روح العصور جميعا وأن تظفروا منها بما يُغني تجربتكم الوجدانية .

القسم الثاني من البرنامج هو "المنزع العقلي في الأدب العربيّ القديم" وهو باب أريد له أن يكون مجال دراسة لبعض مظاهر التّفكير عند أسلافنا بالشّكل الّذي سمح بإرساء معرفة علميّة وفلسفيّة وتشريعيّة منفصلة عن الأسطورة والخرافة وضروب الوهم والزّيف ومكّن من إنتاج علم والتّنظير فيه وفسح المجال للتّفكير بالعقل والتّفكير في العقل : العقل العربيّ بما هو آلة تُفكّرُ وقَلْب يُبصرُ وبما هو فكر ووجدان وتأمّل وعبرة .

أريد لهذا الباب أن يكون أيضا باب تعريف ببعض ثمرات الجهود الأولى في التّدوين تعكس مدى ازدهار الفكر واختلاف الرّأي واحترام الآخر والحرص على الحقّ في غير لين وغير شدّة. وقد تعمّدنا التّركيز على بيان مدى تبنّي المفكّرين العرب والمسلمين الحجاجَ منهجا لدعم الفكرة وأسلوبا للإقناع دون تعصّب ولا انغلاق بل وقد اصطفينا لتجسيد هذا التّوجّه علمين طَبعَا بفكرهما الحضارة العربيّة الإسلاميّة في عهودها الأولى : الجاحظ صاحب المنهج العلمي والفكر الاعتزالي اللّذيْن تجلّيا في آثاره كلّها لكنّنا اخترنا لكم منها كتاب "الحيوان" ومَجْموع "الرّسائل". والتّوحيدي صاحب العقل الرّاجح والرّأي الثّاقب والموقف الجريء من قضايا الإنسان والمجتمع وهي قضايا ميّزت كتابيْه "الإمتاع والمؤانسة" و"المقابسات".

وإنْ أوصى البرنامج بدراسة العلمين بالتّداول فلا غنى لكم معشر التّلاميذ من الاطّلاع على آثارهما جميعا لأنّ في ذلك دعْمًا لكفاياتكم وإغناء لمكتسباتكم وفتحا لآفاق تفكيرٍ أنتم في أشدّ الحاجة إليها.

وأمّا القسم الثّالث من البرنامج فهو "من أشكال القصّ في الأدب العربيّ القديم" رسالة الغفران نموذجا .

وهو باب في فنّ القصّ التّخييلي أراده البرنامج فرصة لكم تقفون من خلالها على جذور القصّ العربيّ وخصائصه المميّزة وعلى أنّ للأمّة العربية كغيرها من الأمم قصصَها وأخبارها وسيرها وحكاياتها ممّا يصلح قاعدة لقصّ حديث متطوّر بقطع النّظر عمّا وفد من الغرب إلى بلاد العرب. وهو باب في القصّ العجيب بما هو قصّ يُخصب المُخيّلة ويحرّر كُلاًّ من المنشئ والمتقبّل من قيود الواقع ويدرأ عنه غائلةَ الخوف من المجهول.

ولعلّ تفرّد المعرّي بهذا الأثر بوّأه منزلة في تاريخ الأدب العربي القديم لم ينلها غيره. فرسالة الغفران وإنْ بدت في مضمونها امتدادا لتلك الحركة العقليّة التي ذكرنا آنفا في تناول قضايا دنيويّة وما ورائيّة فإنّ في شكلها إبداعا وروعة لم يُسبق إليهما في ما نعلم من أنواع القصّ والرّواية.

وبناء على هذه القاعدة من تصوّر البرنامج ومقاصده الذّهنية والوجدانيّة واعتمادا على المقاربات البيداغوجيّة الّتي ذكرنا بُنيَ هذا الجزء الأوّل من الكتاب على الأركان التّالية :

1- **نصوص تمهيديّة** : هي سبيل الدّارس إلى المسألة توَطّرها تاريخيّا وفنّيّا (مفاهيم-أنماط كتابة -أجناس -الخ...) وتُهيّئ للدّرس.

2- **نصوص تكميليّة** : هي نصوص نقديّة أساسا تتوّج دراسة المحور وتفتح الآفاق وتساعد على التّأليف وتدفع إلى التّقييم .

3- **ترجمة الأديب** : وقد رُوعي فيها الإيجاز والتّركيز على ما له صلة بالأثر موضوع الدّرس.

4- **ورقات منهجيّة** : هي جملة من التّعريفات أو الضّوابط أو المنهجيّات والتمشّيات أردناها ميسّرة تدعم التكوين وتساعد على فهم النصوص وطرق المواضيع أو توجيه الأعمال.

5- **فهارس وثبت في المصطلحات** : هي قائمات بالمصطلحات تساعد على تدقيق المفاهيم وتوحيد لغة البحث والمقاربة بين المعلّمين والمتعلّمين

6- **بيبليوغرافيا موجزة** : هي قائمة من العناوين في المصادر والمراجع المختارة عساكُمْ ترجعون إليها لمزيد تعميق الدّرس والاطّلاع علما أنهّا ليست قائمة مغلقة فيمكنكم إغناؤها بما اطّلعتم عليه من وسائط معرفيّة أخرى كالأنترنات وغيرها.

7- **أنشطة تشخيصيّة وتأليفيّة** : وهي أنشطة تدعو إلى استحضار مكتسبات سابقة أو تحفز إلى التّجميع والتّبويب والتّصنيف(ملفّ المحور) والتّأليف لمختلف ما تمّ التّعرض إليه في دراسة المحور وتدرّب على الكتابة والنّقد والتّقييم.

8- **اختبارات** : هي تدريبات في المقال وتحليل النّصّ الغاية منها أن تتحقّقوا من درجة تمثّلكم لمختلف جوانب المحور وتتيح لكم الفرصة لتقييم تكوينّيّ ذاتيّ يعدِّكم للامتحان الختاميّ.

9- **نصوص الشّرح** : وقد رتّبت داخل كل باب على نحو يراعي تدرّجها التّاريخي أو تنوّع المواضيع وتكاملها أو منطق ورودها في أثرها الأصليّ وبُنيت لها أجهزة بيداغوجيّة تساعد على شرحها وتأخذ بيد الدّارس لعقد حوار معها، وأركان هذه الأجهزة هي التّالية :

أ- التّمهيد : وهو فقرة قصيرة يُصدّر بها النّصّ إضاءة للموضوع المزمع طرقه، وقد اختلفت صيغه من باب إلى آخر باختلاف المواضيع وطبيعة المسائل والمقاصد منها.

ب- التّعريف بالأعلام والأماكن : وهو تعريف بما ورد ذكره من الأعلام والأماكن في النّصوص.

ج– تخريج الآيات : وهو ركن يرجع الآيات إلى محلّها من المصحف الكريم سورة وآية.
د– الشرح : شرح مفردات من النّصّ يساعد على تذليل الصعوبات الّتي قد تعطّل الفهم وقد روعي فيها التّحرّي و الدّقّة والسّياق.
هـ– الفهم والتّحليل : وهو ركن يعتني بالقضايا الفنّيّة والمضمونيّة في النّصّ في شكل أسئلة تساعد على تفكيك النّصوص باعتماد قدرات مختلفة مبتدؤها الفهم ومنتهاها التّأويل واستخلاص المميّزات الّتي تتّصل بالموضوع وبالشّكل الفنّيّ.
و – النّقاش : هو ركن يقوم على سؤال أو أكثر يدعوكم دعوة صريحة إلى إبداء الرّأي في قضيّة من قضايا النّصّ أو التّعبير عن موقف شخصيّ ممّا تمّت معالجته، المقصد منه تنمية الفكر النّقدي لديكم وعقد صلة متينة بين النّصّ والواقع وبناء معنى للتّعلّم.
ز– بمناسبة هذا النّصّ : وهذا ركن متنوّع الفروع والأنشطة وتختلف مكوّناتُه من نصّ إلى آخر تجدون فيه فوائد متنوّعة الأغراض الغاية منها إغناء معارفكم بما له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالنّصّ ، وبناء جدل مثمر بين النصوص المختلفة كما تجدون فيه ما يدعوكم إلى محاورة النّصّ أو إنتاج نصوص أخرى.
ح– التّنوير : هذا عنوان لركن يحوي بعض النّصوص القصيرة في التّاريخ أو الفكر أو الفنّ بما يتلاءم والنّصّ المقترح للشّرح أو الأثر كما يحوي فقرات قصيرة في أنماط الكتابة والخصائص الفنّيّة للأجناس الأدبيّة المدروسة، اختيرت من مراجع نقديّة قد لا يتاح للبعض منكم الاطّلاع عليها في مَظانّها وقد تدفع بمن يعثر عليها إلى مزيد البحث وتعميق القراءة، وقد أردناه ركنا يساعد على تدقيق المقاربة الّتي تمّ تناول النّصّ في ضوئها وبيان الجهاز المصطلحيّ والنّقديّ المعتمد، ولقد اخترنا لكم شذرات من آراء مختلفة ومواقف متباينة أحيانا الغاية منها أن تعملوا الرأي فيها وتعمّقوا النّظر والدّرس لبناء مواقفكم الذّاتيّة والانتهاء إلى أنّ القراءة هي في الحقّ قراءات.

على هذا النّحو ارتأينا بناء الكتاب وهو ككلّ كتاب مدرسيّ لا يعدو أن يكون أداة في يد المعلّم والمتعلّم واليد الّتي تُمسك بالأداة أهمّ من الأداة نفسها . فإذا عرفنا أنّكم قد حصلتم في سنّ التّعليم الثّانوي من الأدب أصوله وعيونه ومن فنون الكتابة سَمْتهَا وقوانينها أدركنا أنّ المهمّ بالنّسبة إليكم في هذا المستوى أن تتعلّموا كيف تبدعون قراءة وكتابة وكيف تعبّرون عن الرّأي الحصيف والفكر الثّاقب والشّخصيّة المستقلّة الواثقة بنفسها والمعتزّة بوطنها وحضارتها في غير ما تعصّب أو انغلاق.

وفي الختام نرجو لكم نجاحا يتوّج ما بذلتموه من جهود شاكرين كلّ من ساعدنا على إنجاز هذا الكتاب.

المؤلّفون